نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر
من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله خلق خلقه
فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن
والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله تعالى اخرج قابيل من صلب ادم
وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك اخرج
كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء فان قلت فعلى هذا
كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه
وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال ان يسلم
فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس هو من
اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما انتهى بحروفه اقول اما قول
صاحب اللباب واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا فلا نسلم بانه عليه السلام من صلب
آزر بل قيل آزر عمه وابوه تارح وقدم تفصيل ذلك في سورة الانعام فراجعه ولما حكمت الشريعة
برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر علل لانتفاء كونه من اهل نوح عليه السلام
بقوله **انه عمل غير صالح** اي انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل ونفسه في مداومته على
العمل الفاسد مبالغة ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما قرأ الكسائي
ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين
غير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد
ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح كما
اشرنا بقولنا انه ذو عمل فاسد والتقدير على هذه القراءة بعبارة اخرى ان ابنك ذو عمل وصاحب
عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي
اسحق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قوله تعالى **فلا تسألن ما ليس لك
به علم** من انجاء ابنك وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال
شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصراره على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه
المسألة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسألته قرأ نافع وابن عامر
بتشديد النون مع غير ياء على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت
المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل وابن كثير بتشديد النون
مع الفتح وابو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة وياء وصلا لابي عمرو ودونه بياء في الحالين
للكوفيين وفي الاسرار معناه اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله
صواب وموافق للحكمة هذا على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول المسؤول اي طلبا لا تعلم انه
صواب

صواب وهذا على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بتحريه
في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازا
في شان ولده او استفسارا لمانع للانجاء في حقه وانما سمي سؤاله جهلا وزجر عنه بقوله **اني
اعظك** اي انهاك **ان تكون من الجاهلين** لمثل هذا السؤال الذي لا تعلم لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر
عليه ثم انه تعالى لما نهاه عن السؤال عما ليس به علم **قال** نوح عند ذلك يا رب قبلت هذا التكليف
ولا ارجع اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك بدأ اولا بقوله **رب اني اعوذ بك**
اي التجأ اليك واعتذر اليك **ان اسألك** فيما يستقبل **ما ليس لي به علم** اي ما لا علم لي بصحته يعني
انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسألتي ما ليس لي به علم **والا
تغفر لي** اي وان لم تغفر لي ما فرط مني من الاقدام على السؤال فيما ليس لي به علم **وترحمني** اي برحمتك
التي وسعت كل شيء وبالتوبة والتفضل علي بما انت اهله **اكن من الخاسرين** اعمالا ولا يخفى
ان حقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه الاشارة بقوله اعوذ بك
والاخر الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله والا تغفر لي الاية وهذه عادة الصالحين
انهم اذا وعظوا اتعظوا واذا انبهوا للخطأ تعوذوا ولو استغفروا وانما حكى الله تعالى ما صدر من الانبياء
عليهم السلام من التعوذ والاستغفار ليقتدى بهم في ذلك من غير قنوط عن رحمته واخرج احمد في الزهد
عن وهيب بن الورد الحضرمي قال لما عاتب الله نوحا في ابنه وانزل عليه اني اعظك ان تكون من
الجاهلين بكى ثلثمائة عام حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البكاء **فصل** وقد استدل
بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبياء عليهم السلام وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه
السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له
يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا بان ينجيه واهله فاخذ نوح
ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى
فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله تعالى على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس
من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله عز وجل انه مغرق
مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه
فخاف نوح من ذلك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات
الابرار سيئات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى
تاويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية اصلا عند من له عقل سليم او
طبع مستقيم ثم عقب المعاتبة على السؤال بالبشارة والسلامة بقوله **قيل يا نوح اهبط بسلام**
خاطبه بالهبوط من السفينة بعدما استوت على الجودي فالسلام ان كان بمعنى السلامة يكون المعنى
انزل من السفينة او من الجبل الى الارض مسلما من المكاره محفوظا من الغرق من جهتنا وان كان بمعنى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1